المبدأ 28

حينما يكون الناس صناديق مقفلة ومفاتيحها بيدك

المغزى:

في الأقوال المتداولة أن لكل إنسان مفتاح، وأن تعرف ـ أنتَ هذا المفتاح شيء جيد، ولكن ليس المفتاح هو المقصود هنا وإنما كيف تستعمله، عندما تتواصل مع أناس يبدو عليهم التعاسة أو السخط أو عدم الأمان فاعلم أن مثل هؤلاء مليئون بنقاط الضعف، وباستطاعتك أن تلعب على هذه النقاط من إشباع الحاجة غير الملبّاة، فمنهم من هو بحاجة إلى توكيد مكانته، ومنهم من هو بحاجة إلى اعتراف المجتمع به، وآخرون توّاقون إلى تكريس الشعور بأهميتهم كفاعلين، كل ما عليك ـ كمدرك لطريق النفوذ ـ أن تُوجد طُرقاً تجعل هؤلاء يحسّون بشعور أفضل عن ذواتهم وعن مكانتهم الاجتماعية وحتى عن ذكائهم، وما إن تضع «حاجتهم» موضع التنفيذ

حتى يصبح بإمكانك أن تديرهم كما تدير«مفك» البراغي بيدك. إن ما يصدر عن الناس خارج سيطرتهم الواعية (بأحاديث عابرة/ نقاشات حادة/ لحظة غضب/ طرائف/ أقوال يرددها دوماً..) هي منافذ يمكن التعويل عليها، وعندما تقدم لهم ما لا يستطيعون الحصول عليه لا يشكون أبداً بأنك تديرهم، وإن شعروا فإنهم لا يعبأون كثيراً ولا يهتمون لأنك جعلتهم يشعرون بشعور أفضل عن أنفسهم. ولكن كيف يمكن أن تعرف ما هم عليه وما هم بحاجة إليه؟ يتم ذلك بقليل من المران والتدرب على:

- الاستماع جيداً لأن المحادثة اليومية أغنى منجم لنقاط ضعف الناس.
- ملاحظة التفاصيل في التصرف والهيئة والملامح، هل يتباهى؟ هل يتواضع؟..
- معرفة أحب الأشياء إليهم، كي تصبح أنت «ملبّياً» لها.
- تسجيل التناقض فيما يفعلونه، فالادعاء بالقول ينم عن حقيقة أنهم لا يستطيعون الفعل.
- إشباع الفراغ العاطفي لما يتعطشون إليه، ففاقدو الأمل مثلاً يتعطشون لأي نوع من الاعتراف الاجتماعي.

في العالم الاجتماعي تظهر شخصية المرء من خلال الطريقة التي يتعامل بها مع توافه الأمور لأنه يكون قد أغفل حذره، وكثيراً ما تقدم مثل هذه الغفلة فرصة جيدة لمراقبة طبيعة الناس الحقيقية.

المثال

كيف تستطيع أن تجعل شخصاً يفتح لك أعماقه الموصدة على أسرار؟ كيف ينبغي أن تتصرف قبل أن تفتح أبواب ذاته وبُعدها؟ هذا ما حاولت ابتسام القيام به إزاء ابنتها المكنونة على أسرار، خاصة بعدما لاحظت خروجها المتواصل، مكالماتها التلفونية الكثيرة، انشغالها الدائم بأمور خارج المنزل، مما استدعى من الوالدة القيام بجلسة حوار مع الابنة كي تبدد قلقها وهواجسها، وها هي ابتسام تخبرنا القصة: «جلست معها ذات مساء لوحدنا، قلت لها كل ما رصدته عنها وما أتصوره حتى اعترفت لي بأنها تعرفت على شاب كان زميلها في الجامعة وسبقها في التخرج بعام، وأن كل ما بينهما هو مجرد أحاديث وأحلام.. ولأنني أعرف ابنتي جيداً فقد صدقتها وطلبت منها أن تحكي لي المزيد عن هذه العلاقة، فأشارت بأنهما يشعران بشيء ما تجاه بعضهما البعض، وأخذتْ تجيب على أسئلتي بكل صراحة، وعندما ذهبت إلى غرفتها لتنام ظل عقلي يفكر في طريقة نحمي بها ابنتنا ونرعى هذه العلاقة عن كثب، بحيث تكون تحت السيطرة إلى أن وجدت الحل وهو اقتراح يقضي بأن أفتعل مناسبة وأحثّ فيها ابنتي أن تدعو ذاك الشاب، وبعدها نحاول أن نضمه في دائرة علاقتنا، ونسمح له بزيارتنا وفق مواعيد محددة، أو ندعوه إلى رفقتنا لأماكن عامة كي يبقى هو وابنتنا تحت أنظاري، وأكسر دائرة اللبس والغموض التي قد تعتريني من علاقتهما معاً،

فضلاً عن ذلك قد يساعدني ـ التقرب منهما ـ على توجيه العلاقة والتحكم بها، خصوصاً بعدما لاحظت اختلافات متباينة في مستوى السلوك وطريقة التفكير بين ابنتي وهذا الشاب، لهذا أخذت أوثق علاقتي بابنتي أكثر كي أشعرها أن ليست كل العلاقات قد تنجح، وأن بعضها قد يكون مجرد فورة وجدان ولهفة مشاعر سرعان ما تذوي، فعلينا أن نتمهّل ونتأكد من فحوى علاقتنا مع الآخر .إلا أن زوجي لم يرق له «تكتيكي» لأنه تقليدي الطبع والنشأة، ويرفض التهاون في مستوى الصحبة إلى حد خروج شخص مع ابنتي ليس بينهما أية علاقة، وأخذ يعيب عليّ طريقة تفكيري إزاء هذا الموضوع، لكنني مقتنعة به تماماً فأنا ـ تتابع ابتسام القول ـ مستعدة أن أواجه أي شيء ولكنني لست مستعدة أن أضع قيوداً على حرية ابنتي حتى لا أفقد ثقتها. وأعتقد بأن دبلوماسيتي نجحت».

بقليل من الحنكة استطاعت ابتسام أن تفتح ثغرة في جدار أسرار ابنتها، وبقليل من الدهاء والتصرف اللبق جعلتها تشعر بمسؤولية بما تقوم به على الرغم من معارضة الوالد، فالاحترام المتبادل بين الأهل والأبناء ليس منبعه أن يتحايل الأولاد على آبائهم ولا أن يخافوا منهم، ولكن الاحترام هو أن يكون الآباء أكثر صدقاً مع أبنائهم، وهذا ما عرفت إليه ابتسام سبيلاً، وإتقانها للدور من خلال ملاحظة التفاصيل والإصغاء الجيد للابنة وتسجيل

التناقضات وإشباع رغبة الابنة باختبار عواطفها عبر سياق مُراقب.

يقيني أن دهاء المرأة يفتح أبواباً موصدة ويبدو أن صاحبة القصة كان حظها من الدهاء وافراً.

الملخص:

خلف كل إنسان هناك «عزيز» حاول أن تصل إليه، اكسب وده إذ ربما عن طريق الود يصبح «الحلقة الأضعف» أمام مطالبك. واعلم أن ثمة ثقوب نفسية في حياة الناس من طمع، غرور، كراهية، شهرة، نفوذ. وعندما تدركها تستطيع أن تتحكم بها كما تقع السمكة في الصّنارة.

المرادف:

- لا يستطيع إنسان أن يكتم سراً، فإذا صمتت شفتاه تتثرثر أصابعه.

(العالم النفسي فرويد)

- خداع القلوب يظهر من كلمة على اللسان أو نظرة في العين.

(لقمان الحكيم)

- إذا أردت أن تعرف أسرار الناس اغتنم ساعات غضبهم أو نشوتهم.

(مثل إسباني)